(٧١) سورة نوح

obeikandi.com

obeikandl.com

من الإشارات الكونية فى سورة نوح

(١) التأكيد على مرحلية الحياة الدنيا مهما طالت، وعلى حتمية الآخرة مهما بعدت.

(٢) الإشارة إلى ضرورة تنويع أساليب الدعوة وطرائقها بما يتناسب والظروف النفسية للمدعوين، وحسب الظروف المتاحة للداعين، وذلك من القواعد الأساسية فى علم النفس الحديث.

(٣) تقرير أن الله (تعالى) هو الذى ينزل المطر بعلمه وحكمته وقدرته، وهو (سبحانه) الرزاق ذو القوة المتين، الذى يمد خلقه بالمال والبنين، ويحيل الأرض القاحلة إلى جنات تجرى من بينها الأنهار، إذا أراد ذلك.

(٤) الإشارة إلى خلق الناس فى أطوار متتالية، وهو ما تؤكده العلوم المكتسبة.

(٥) التأكيد على أن الله (تعالى) خلق سبع سماوات طباقا، ولولا هذا التأكيد ما استطاع الإنسان معرفة ذلك قط، وهو المحبوس فى حدود السماء الدنيا.

(٦) التفريق العلمى الدقيق بين كل من الضياء والنور، وذلك بوصف القمر بأنه نور، ووصف الشمس بأنها سراج. والتصريح بأن القمر نور فى السماوات السبع، مما يشير إلى شفافية تلك السماوات وتطابقها حول مركز واحد يشمل كلا من الأرض والقمر.

(٧) الإشارة إلى إنبات الخلق من الأرض، ثم إعادتهم فيها، ومن بعده إخراجهم منها.

(٨) وصف تمهيد سطح الأرض بجعله فى معظمه كالبساط ، وذلك بتكوين السهول المنبسطة ، وبشق الفجاج والسبل بين سلاسل الجبال والهضاب الأرضية التى تسوى على مستوى سطح البحر بالتدريج ، حتى تتحول إلى تلك السهول ، وذلك بواسطة مختلف عمليات التعرية.

(٩) الإشارة إلى واقعة طوفان نوح الذى تؤكده الدراسات العلمية الحديثة.

obeikandl.com

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾

[نوح: ١٣ ـ ١٤]

من الدلالات العلمية للآيتين الكريمتين

أولا: في قوله (تعالى): ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا﴾

والرجاء والرجو من الأمل، وهو ظن يقتضى حصول ما فيه الخير والمسرة، وهو هنا بمعنى الخوف؛ وذلك لأن الرجاء والخوف يتلازمان. و(الوقار) هو السكون والجلال والحلم والعظمة، يقال: (وقور) و(وقار)، و(متوقر)، و(التوقير) هو التعظيم والتبجيل والخشية. وعلى ذلك فإن من معانى قوله (تعالى) ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ هو: ما لكم لا تعظمون الله (سبحانه وتعالى) حق عظمته، ولا تخافون من بأسه ونقمته؟ والاستفهام إنكار لوقوع ذلك من المخاطبين من الكفار والمشركين، والعصاة الغافلين عن ذكر الله وعن طاعته وحسن عبادته من عصاة قوم نوح، وممن على شاكلتهم إلى يوم الدين، وجواب الاستفهام هو: فتطيعون أوامره، وتجتنبون نواهيه، وتخشون حسابه وعقابه فى الدنيا قبل الآخرة.

خلق الإنسان من طين. والشفرة الوراثية

الخلق من الطين شهادة للخالق الحكيم العليم بالألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه؛ وذلك لأن جسد الإنسان يتكون من تريليونات الخلايا التى تتنوع بتنوع وظائفها، وأغلب هذه الخلايا على قدر من الضآلة بحيث لا يتعدى قطر الخلية الواحدة منها فى

المتوسط ثلاثة من مائة من المليمتر (٠.٠٣ مم)، وهى على الرغم من ذلك بناء معقد تعقيدا يعجز العقل البشرى عن تصوره، والخلية الحية ـ على ضآلتها ـ تعمل بإحكام تعجز أكبر المصانع التى بناها الإنسان ـ بل التى فكر فى إنشائها ولم يتم له ذلك بعد ـ عن محاكاة الدقة التى تعمل بها الخلية الحية الواحدة فى جسده. فلكل خلية حية (ما عدا بعض الأنواع القليلة من مثل خلايا الدم الحمراء) جسيم مركزى يعرف باسم **«نواة الخلية»**، وتمثل هذه النواة العقل المفكر للخلية الحية؛ لأنها تحكم جميع تصرفاتها، وتنظم كافة أنشطتها، وتختزن بداخلها كل الصفات الوراثية الخاصة بها، على هيئة عدد من الجسيمات الدقيقة التى تعرف باسم **«الجسيمات الصبغية»** أو **«الصبغيات ـ Chromosomes»** لتلونها بالأصباغ التى تضاف إلى الخلية الحية بشدة أعلى من باقى مكونات الخلية. وعدد الصبغيات فى الخلية الحية من العوامل المحددة لكل نوع من أنواع الحياة النباتية، أو الحيوانية، أو الإنسانية. وعدد الصبغيات فى الخلية البشرية ستة وأربعون (٤٦) مرتبة فى ثلاثة وعشرين زوجا (٢٣) فى نوى كل الخلايا ما عدا **«خلايا التكاثر ـ Reproductive or Germ Cells»** التى تحمل كل منها نصف هذا العدد (أى ٢٣ صبغيا فقط) فإذا ما اتحدت نطفة الرجل مع البييضة (أو نطفة المرأة) تكامل عدد الصبغيات فى النطفة الأمشاج **(المختلطة)**.

وبذلك يكون نصف عدد الصبغيات فى النطفة الأمشاج من الأب، ويحمل شيئا من صفاته وصفات أسلافه إلى أبينا آدم (عليه السلام)، ويكون النصف الآخر من الأم، ويحمل شيئا من صفاتها وصفات أسلافها إلى كل من آدم وحواء (عليهما السلام)، وبذلك يأتى الأبناء على قدر من التشابه والاختلاف مع الآباء، مما يحقق هذا التنوع البديع فى الخلق، والذى جاء كله من أصل واحد.

وتتكون الصبغيات من تجمعات **«الحمض النووى الريبى المنزوع الأكسجين ـ DNA»**، ومن البروتينات بنسب متساوية تقريبا. ويتكون جزىء هذا الحمض النووى من لفائف متناهية الدقة، تتكون كل لفافة منها من سلسلتين (ملتحمتين فى الوسط) من القواعد النيتروجينية، وجزيئات السكر والفوسفات. وتلتف السلسلتان حول محور وهمى على هيئة حلزونية مطوية طيا شديدا تعرف باسم **«اللفائف الحلزونية المزدوجة الجدار»**

لـ «الحمض النووى الريبى المنزوع الأكسجين ـ Double Helix DN Astrands» ، ويبلغ قطر هذا الحلزون واحدا من نصف مليون جزء من المليمتر، ويبلغ حجمه وهو مكدس على ذاته داخل الجسيم الصبغى واحدا من المليون من المليمتر المكعب، ويبلغ سمكه واحدا من خمسين مليون من المليمتر. وإذا فرد هذا الحلزون فإن طول جزىء الحمض النووى المكون له يصل إلى حوالى أربعة سنتيمترات، تحتوى على أكثر من أربعمائة مليون جزىء من القواعد النيتروجينية والسكر والفوسفات (=٤٠٤,٣٤٧,٨٠٠) مرتبة ترتيبا مبهرا يعطى بصمة وراثية مميزة لكل فرد من أفراد بنى آدم الذين عاشوا وماتوا، والذين يملؤون جنبات الأرض اليوم، والذين سوف يأتون من بعدهم إلى قيام الساعة.

ومعنى هذه الأرقام، أنه إذا تم فرد جميع الصبغيات فى خلية بشرية واحدة، وتم رصها بجوار بعضها البعض فإن طولها يبلغ حوالى المترين (٤٦ صبغيا X ٤سم = ١٨٤سم)، وإذا تم ذلك بالنسبة للصبغيات الموجودة فى متوسط تريليون خلية فى جسم الفرد البالغ من بنى الإنسان فإن طول شفرته الوراثية يزيد على طول المسافة بين الأرض والشمس والمقدرة بحوالى المائة والخمسين مليون كيلومتر (ما بين ١٤٧ و١٥٢ مليون كيلومتر) بأكثر من عشر مرات (١٢,٣ مرة) وإذا كان كل صبغى يحتوى على أكثر من أربعمائة مليون جزىء من القواعد النيتروجينية والسكر والفوسفات، فإن صبغيات خلية بشرية واحدة تحتوى على ١٨,٦ بليون جزىء من هذه المركبات، ومجموع الخلايا فى جسد فرد واحد من بنى الإنسان تحتوى هذا الرقم المهول مضروبا فى عدد خلايا جسده المقدرة بتريليون خلية فى المتوسط، وهذه البلايين من ملايين ملايين الجزيئات مرتبة بدقة فائقة إذا اختل وضع جزىء واحد منها عن مكانه المحدد له، فإن هذا الكائن إما أن يشوه، أو ألا يكون أبدا...!!.

ويقسم كل صبغى على طوله بعدد من «العلامات المميزة ـ Markers» إلى وحدات طولية فى كل منها عدد من «المورثات ـ Genes» ، التى تتحكم كل واحدة منها فى صفة واحدة، أو فى عدد من صفات الخلية الحية وصفات الجسد الذى ينبنى منها، ويتكون كل مورث من عدد محدد من «الشفرات الوراثية ـ Codons» ، وتتكون كل شفرة من ثلاث «نويدات ـ Nucleotides» ، وتتكون النويدة من زوج من القواعد

النيتروجينية ، تستند كل قاعدة منها إلى جزيئين أحدهما من السكر والآخر من الفوسفات ، حيث تكوّن جزيئات السكر والفوسفات جدارى اللفيفة الحلزونية المزدوجة الجدار للحمض النووى ، وتنتشر بينها أزواج القواعد النيتروجينية على هيئة درجات السلم الخشبى فى علاقات تبادلية غاية فى الدقة والإحكام والانضباط. ومن الأمور المبهرة حقا ، أن الخلية الواحدة من خلايا جسم الإنسان قد أعطاها الخالق (سبحانه وتعالى) القدرة على إنتاج أكثر من ثمانين ألف نوع من البروتينات ، وأن عشرات الآلاف من البروتينات التى تنبنى منها أجساد البشر وغيرهم من المخلوقات تتركب من عشرين نوعا فقط من الأحماض الأمينية ، التى تترتب ذراتها فى أجساد كل الكائنات الحية ترتيبا يساريا ، وتترتب هى فى داخل الجزىء البروتينى المكون للخلية الحية ترتيبا يساريا كذلك ، فإذا ما ماتت الخلية الحية أو مات الجسد الذى يحتويها فإنها تأخذ فى إعادة ترتيب ذراتها ترتيبا يمينيا بمعدلات ثابتة تمكن العلماء من تحديد لحظة وفاتها بدقة بالغة.

ويتطابق تركيب الحمض النووى الذى تكتب به الشفرة الوراثية بين جميع أفراد بنى آدم بنسبة ٩٩,٩٪ ، ومن طلاقة القدرة الإلهية المبدعة فى الخلق أن الاختلافات فى النسبة الباقية التى لا تتعدى ٠,١٪ تعطى لكل فرد من بنى الإنسان بصمة وراثية مميزة له.

خلق الإنسان من طين وتركيب الخلية الحية

بالإضافة إلى الشفرة الوراثية المبدعة والمركزة فى داخل النواة ، والموزعة فى هيئة الجينات المرتبة على الصبغيات مكونة ما يعرف بالشبكة الصبغية ، فإن للخلية الحية من المكونات ما يلى :

(١) **جدار الخلية** وهو جدار غشائى حى مكون من البروتينات والشحميات الفوسفاتية أعطاه الخالق (سبحانه وتعالى) القدرة على التحكم فيما يخرج من الخلية أو يدخل إليها.

(٢) **السائل الخلوى أو «الهيولى ـ Cytoplasm»**.

(٣) **«الحبيبات ـ Granules»** : وهى حبيبات دقيقة منتشرة فى السائل الخلوى لها وظائف متعددة.

(٤) «**الريباسات ـ Ribosomes**» : وهى عضيات فى غاية الدقة منتشرة فى السائل الخلوى، ومكونة من المواد البروتينية و«**الحمض النووى الريبى ـ RNA**»، وهى مراكز تخلق البروتينات.

(٥) «**النوية ـ Nucleolus**» : وهى تجمع لجزيئات «**الحمض النووى الريبى ـ RNA**» و«**المورثات ـ Genes**» مكدس فى داخل النواة، ووظيفتها إنتاج الريباسات وتخزينها.

(٦) «**جهاز جولجى ـ Golgi Apparatus**» : وهو عبارة عن تكتلات غشائية تقوم بإفراز عدد من العصائر وتنشيط دور الإنزيمات.

(٧) «**جسيمات حالة ـ Lysosomes**» : وهى خزانات غشائية تقوم بعزل الإنزيمات القوية عن بقية الخلية.

(٨) «**المتقدرات ـ Mitochondria**» : وهى عبارة عن مطويات غشائية لها القدرة على تحويل غذاء الخلية إلى طاقة، أى أنها مراكز تنفس الخلية.

(٩) «**فجوات الخلية ـ Vacuoles**» : على هيئة أكياس غشائية متناهية الدقة فى الحجم تخزن فيها مواد خاصة.

(١٠) «**الفجوات المنقبضة ـ Contractile Vaciuoles**» : على هيئة خزانات غشائية تقوم بطرد الماء الزائد عن حاجة الخلية إلى خارجها.

(١١) «**شبكة هيولية داخلية ـ Endoplasmic Reticulum**» : على هيئة طيات غشائية دقيقة يتكون منها عدد من الراقات والأنابيب التى تشكل أسطحا للتفاعلات الكيميائية المعقدة، ولنقل منتجات تلك التفاعلات إلى مختلف أجزاء الخلية، ومن هذه الراقات والأنابيب المتناهية الدقة الأملس ومنها الخشن.

(١٢) «**غشاء النواة ـ Nuclear Membrane**» : الذى يفصل النواة عن باقى مكونات الخلية.

(١٣) «**النواة ـ Nucleus**» : وتحتوى على كل من الصبغيات والنوية.

(١٤) «**الأنيبيات الدقيقة ـ Microtubules**» : وهى أنابيب شعرية دقيقة جدا فارغة مكونة من مواد بروتينية تعطى للخلية قدرا من التدعيم، وتسمح لها بالحركة.

(١٥) «الشعيرات الدقيقة ـ Microfilaments» : وهى خيوط شعرية دقيقة مكونة من المواد البروتينية تعطى للخلية قدرا من التدعيم، وتسمح لها بالحركة.

(١٦) «المريكزات ـ Centrioles» : وهى جسيمات أنبوبية فائقة الدقة يبدو أن لها علاقة بعملية انقسام الخلية.

هذا هو البناء العظيم المذهل للخلية الحية، فهل يمكن لعاقل أن يتخيل إمكانية نشأته عفويا من تراب الأرض ومائها؟ أم أنه محتاج إلى تقدير الخالق البارئ المصور الحكيم العليم...؟ وهذه الخلية الحية هى إحدى بلايين من الخلايا المتخصصة التى تلتقى مع بعضها البعض لتكون أعدادا من الأنسجة المتخصصة، والتى تلتقى بدورها لتكون أعدادا من أعضاء محددة تبنى أجهزة متخصصة تتعاون كلها فى توافق عجيب لخدمة جسد ذلك المخلوق المكرم الذى يعرف باسم «الإنسان»، ومن هنا كان العتاب الإلهى لكفار قوم نوح ومشركيهم، ولأمثالهم من منكرى الخلق على مدى التاريخ إلى قيام الساعة : « *ما لكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم ...* ».

ثانيا: فى قوله (تعالى): «*وقد خلقكم أطوارا*»

(الطور) لغة هو الحد، يقال : عدا فلان (طوره) أى جاوز حده. و**(الطور)** أيضا هو التارة أو المرة، فيقال : فعل فلان كذا (طورا) بعد (طور) أى تارة بعد تارة، أو مرة بعد مرة، وعلى ذلك فـ (الأطوار) هى التارات، أو المرات، ويؤكد ذلك ما ذكره «ابن رجب الحنبلى» فى كتابه «**جامع العلوم والحكم**» : من أن قوما كانوا عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فقالوا : «إن قوما زعموا أن العزل هو الموءودة الصغرى، فقال سيدنا على بن أبى طالب (رضى الله عنه) : لا تكون موءودة حتى تمر على التارات السبع : تكون سلالة من طين، ثم تكون نطفة، ثم تكون علقة، ثم تكون مضغة، ثم تكون عظاما، ثم تكون لحما، ثم تكون خلقا آخر»، كذلك يقال فى اللغة : الناس (أطوار) أى أخلاف على حالات شتى.

ويشمل لفظ (أطوار) فى الآية الكريمة التى نحن بصددها مراحل الخلق المتدرجة التى يمر فيها جنين الإنسان من النطفة، إلى النطفة الأمشاج، إلى العلقة، إلى المضغة، إلى خلق العظام، ثم كسوتها لحما، حتى إنشائه خلقا آخر. وانطلاقا من عتاب الله

(سبحانه وتعالى) لكفار قوم نوح ومشركيهم ولأمثالهم من الكفار والمشركين فى كل زمان ومكان إلى يوم الدين، يقول ربنا (تبارك وتعالى): «*وقد خلقكم أطوارا*» أى أفلا تدركون عظمة الله، وطلاقة قدرته، فتطيعونه وتخشون عقابه، ولقد خلقكم فى عدد من التارات المتعاقبة التى لا يكاد بعضها أن يرى بالعين المجردة؟ والخروج عن طاعة هذا الخالق العظيم الذى بيده مقاليد خلقكم ورزقكم وسعادتكم أو شقائكم لا يمكن أن يصدر عن ذى بصيرة أبدا!!.

وقد جاء ذكر أطوار خلق الإنسان هذه فى مراحله الجنينية المتتالية مرتبة ترتيبا دقيقا، وموصوفة وصفا شاملا لم تصله بعد العلوم المكتسبة فى قمتها الحالية، وذلك فى عدد من آيات القرآن الكريم منها (النحل/ ٤، الكهف/ ٣٧، الحج/ ٥، المؤمنون/ ١٣و١٤، فاطر/ ١١، يس/ ٧٧، غافر/ ٦٧، النجم/ ٤٥ و٤٦، القيامة/ ٣٧، الإنسان/ ٢، عبس/ ١٩).

وهذا الوصف القرآنى المعجز جاء فى زمن ساد فيه الاعتقاد بأن الجنين البشرى يخلق خلقا كاملا فى صورة متقزمة جدا لا تكاد ترى بالعين المجردة، وذلك من دم الحيض فقط، أو من ماء الرجل فقط، ثم يزداد فى الحجم تدريجيا حتى لحظة الميلاد. فلم تكتشف العلوم المكتسبة كلا من نطفة الرجل ونطفة المرأة إلا فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى بعد بناء المجهر. وحتى بعد اكتشافهما فإن دورهما فى تكوين الجنين لم يدرك إلا فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى، ولم يعرفا على أنهما من الخلايا الحية إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادى (١٨٥٩م)، ولم تعترف العلوم المكتسبة أن الجنين يتخلق بإخصاب نطفة الأنثى **(البييضة)** بواسطة نطفة الذكر **(الحيمن)** إلا فى القرن التاسع عشر الميلادى.

وعلى ذلك فإن التأكيد على دور كل من الذكر والأنثى فى تخلق الجنين، ووصف أطوار الجنين البشرى فى مراحله المتتالية بدقة متناهية فى كل من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) من قبل أربعة عشر قرنا، وفى زمن انعدمت فيه وسائل التكبير أو التصوير أو الفحص لمما يؤكد لكل ذى بصيرة أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق (سبحانه وتعالى).

رسومات توضح المراحل التى يمر بها الجنين البشرى فى رحم أمه

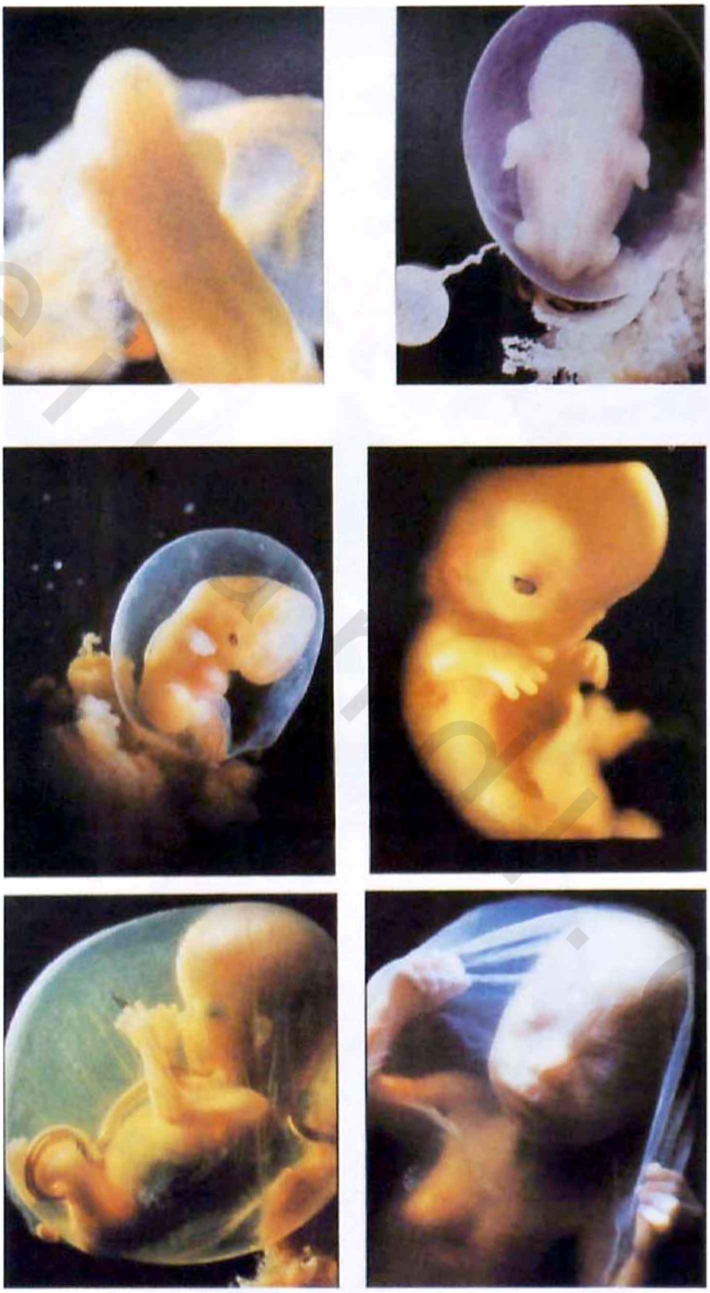

صور حقيقية لبعض مراحل الجنين البشرى من الأسبوع الثالث إلى الأسبوع السادس والخمسين

obeikandl.com

Salmon_1

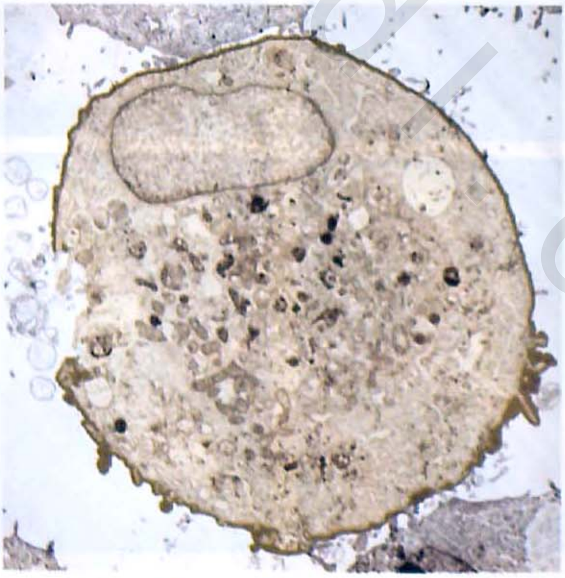

Prostate Cancer Cell

obeikandl.com

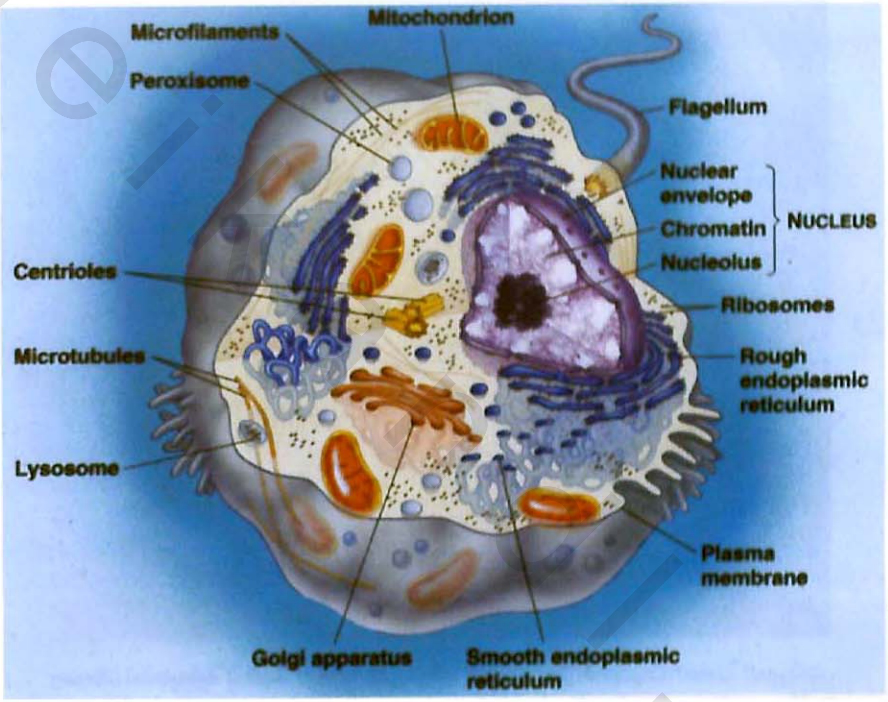

animal cell

رسم تخطيطي لمكونات الخلية الحية الحيوانية

obeikandl.com

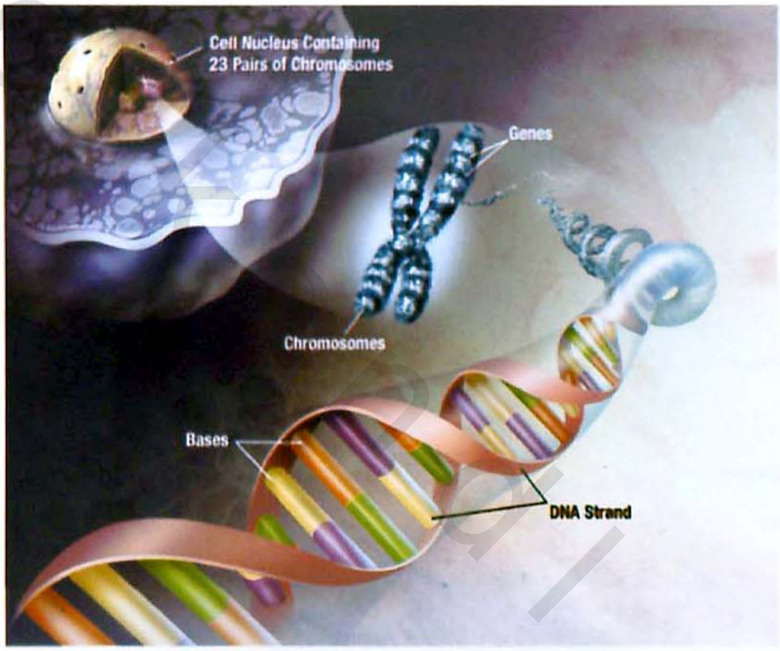

رسومات تخطيطية للخلية البشرية وفى نواتها ٢٣ زوجا من الصبغيات الحاملة للمورثات، يخرج منها أحد هذه الصبغيات مكبرا، ويخرج من الصبغى الحمض النووى الريبى منزوع الأكسجين الذى تكتب به الشفيرة الوراثية، وهو مكون من عدد من القواعد النيتروجينية المستندة إلى جدارين من جزيئات السكر والفوسفات